المبحث الثانى

أهمية السيرة النبوية فى فهم الإسلام
قرآناً وسنةً وحضارةً

وينقسم إلى ما يلى :

أولاً : أهمية السيـرة العطـرة فـى فهـم القــرآن الكريــم 0

ثانياً : أهمية السيرة الشريفة فــى فهــم السنــة النبـويــة 0

ثالثاً : أهمية السيرة النبوية فى إثبات أن للمسلمين تاريخاً وحضـارةً0

أولاً : أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم :

إن فى دراسة السيرة النبوية الشريفة ما يعين كل مسلم على فهم قوى ودقيق لكتاب الله عز وجل، إذ أن كثيراً من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التى مرت برسول الله ، ومواقفه منها فهناك من الآيات القرآنية ما نزلت إثر حوادث طرأت أو مشاكل وقعت أو أسئلة وجهت إلى النبى ، فجاءت هذه الآيات تحمل الحل أو تبين الحكم، أو تجيب على الأسئلة 0

ومما لا يخفى مدى أهمية الوقوف على هذه الأسباب فى التعرف على المعنى الأصوب والأدق للآية، هذا إن لم يتوقف فهم مثل هذه الآيات على معرفة أسبابها، الأمر الذى يترتب على غياب هذه المعرفة وقوع فى الإشكال والتعارض مع غيرها، وقد حصل هذا بالفعل مع بعض الصحابة والتابعين وسواهم كثيراً ممن جاء بعدهم، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

1- ما أشكل على عروة بن الزبير رضى الله عنه[1] أن يفهم فرضية السعى بين الصفا والمروة مع قوله تعالى : **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**0[2]

ففى الصحيح عن عروة قال : سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** قال : فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة. قالت : بئسما قلت يا ابن أختى؛ إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت : لا جناح عليه ألا يتطوف بهما. ولكنها أنزلت فى الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون[3] لمناة الطاغية[4] التى كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل[5] فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة. فلما أسلموا سألوا رسول الله عن ذلك، قالوا : يا رسول الله! إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله عز وجل : **إن الصفا والمروة**

---

1 () صحابى جليل له ترجمة : فى تاريخ الصحابة ص 154 رقم 738، وأسد الغابة 3/235 رقم 2943، والاستيعاب 3/898 رقم 1530، والإصابة 2/306 رقم 4694 0

2 () الآية 158 البقرة 0

3 () أى يرفعون أصواتهم بالتلبية عند الحج. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 5/234 0

4 () اسم صنم، كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، ينظر : المصدر السابق 4/313 0

5 () بضم الميم، وفتح الشين، وتشديد اللام الأولى، وفتحها، موضع بين مكة والمدين 7ة. ينظر : المصدر نفسه 4/285 0

من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قالت عائشة : "وقد سن[1] رسول الله الطواف بينهما؛ فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما"[2]0

وهذه الرواية – كما ترى – تدل على أن عروة مع جلالة قدره وفهمه، فهم من جملة **فلا جناح عليه أن يطوف بهما** أن الجناح منفى أيضاً عن عدم الطواف بهما، وعلى ذلك تنتفى الفريضة، وكأنه اعتمد فى فهمه هذا على أن نفى الجناح، أكثر ما يستعمل فى الأمر المباح 0

أما عائشة رضى الله عنها فقد فهمت أن فريضة السعى بين الصفا والمروة، مستفادة من السنة المطهرة، ومن سيرته العملية، وأن جملة : **فلا جناح عليه ألا يطوف بهما** لا تنافى تلك الفريضة كما فهم عروة، إنما الذى ينفيها أن يقال : "**فلا جناح عليه ألا يتطوف بهما**"0

وإنما توجه نفى الحرج فى الآية عن الطواف بين الصفا والمروة، لأن هذا الحرج هو الذى كان وافراً فى أذهان الأنصار، كما يدل عليه سبب نزول الآية الذى ذكرته السيدة عائشة رضى الله عنها، فتدبر[3]0

2- ومن ذلك أيضاً ما تأوله قدامه بن مظعون رضى الله عنه[4] وأشكل عليه أنه لا حرج على كل من آمن واتقى وأحسن إذا ما شرب الخمر، وكان والى عمر بن الخطاب على البحرين، وبعد أن استقدمه عمر رضى الله عنه ليقيم عليه الحد لسكره، قال له : يا قدامه إنى جالدك، فقال : يا أمير المؤمنين،

---

1 () أى فرض [illegible]

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، وجُعِلَ من شعائر الله 3/581 رقم 1643، ومسلم فى الأماكن السابقة نفسها فى الحديث السابق 0

3 () مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى 1/112 0

4 () هو : قدامه بن مظعون القرشى، أخو عثمان بن مظعون، وخال حفصة، وعبد الله، ابنى عمر بن الخطاب، وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله [illegible]

لئن كان الأمر كما يقولون ما كان لك أن تجلدنى. فقال : لم؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا**﴾[1] فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق والمشاهد. فقال عمر : ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس : إن هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين، وحجة على الباقين، لأن الله تعالى يقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**﴾[2] قال عمر : صدقت[3]0

ويلاحظ هنا أن الوقوف على سبب النزول هو الذى جلى الموقف لابن عباس، ورفع الإشكال عنها، وسبب نزولها على ما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه[4] أنه قال : "مات رجل من أصحاب النبى ﷺ قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر، قال رجال كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر؟ فنزلت : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعلموا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا**﴾[5] فالآية ترفع الجناح عمن شربها قبل التحريم. فلا إشكال ولا تعارض 0

---

1 () الآية 93 المائدة 0

2 () الآية 90 المائدة 0

3 () أخرجه الحاكم فى المستدرك 4/417 رقم 8132 وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه 9/240 رقم 17076 0

4 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 55 رقم 272، والرياض المستطابة ص 37، وتاريخ الصحابة ص 42 رقم 103، وأسد الغابة 1/362 رقم 389 0

5 () الآية 93 المائدة، والحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة 5/237 رقم 3050 وقال : حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده 1/97 رقم 715، وللحديث شاهد من رواية ابن عباس فى سنن الترمذى فى الأماكن السابقة نفسها برقم 3052 وقال : حديث حسن صحيح 0

من أجل ذلك فقد أكد العلماء على الأهمية البالغة لسبب النزول وأنه طريق قوى فى فهم معانى القرآن الكريم[1]0

3- وإذا رجعت إلى السيرة النبوية لتفهم منها التجسيد الحى للقضية الأولى التى ابتدأ بها أمر الدين، وهى الوحى الإلهى، لرأيت أن السيرة العطرة كانت أقرب وأقوى فى تفسير آيات الوحى من بعض التفاسير التى اتخذت الجانب اللغوى، أو التصوير البيانى، أو التأويل التكليفى 0

قال تعالى : **إن سنلقى عليك قولاً ثقيلاً**[2] وقال سبحانه : **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**0[3]

فإن الذى يخلو ذهنه من السيرة النبوية التى تصور الواقع الذى عاشه رسول الله فى التنزيل القرآنى لا يستطيع أن يتصور واقع ما تشير إليه تلك الآيات وغيرها المتكلمة عن الوحى وما فيه، وما يتطلبه تصور ذلك من صفاء وطهر واستعداد وأهلية تجعله على مستوى ما لدى هذه الآيات ليتفاعل معها، وتتفاعل معه فى إطار ما تضمنته من هبات ربانية 0

ومما روته كتب السنة النبوية كاشفة عن أحواله فى التنزيل القرآنى ما يلى :

1- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : "كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة"[4]0

---

1 () ينظر : التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبى 1/58، ومناهل العرفان فى علوم القرآن 1/110 0

2 () الآية 5 المزمل 0

3 () الآية 21 الحشر 0

4 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحى 1/39 رقم 5، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة 2/402 رقم 448 0

2- وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه[1] قال : "كان نبى الله إذا أنزل عليه الوحى كُرِبَ لذلك وَتَرَبَّدَ له وَجْهُهُ..."[2]0

3- وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه[3] قال : "وددت أنى قد رأيت رسول الله وقد أنزل عليه الوحى؟ فقال عمر : تعال أيسرك أن تنظر إلى النبى وقد أنزل الله عليه الوحى؟ قلت : نعم. فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط[4] وأحسبه قال : كغطيط البكر..."[5]0

4- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : "ولقد رأيته "أى النبى " ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد، فيفصم "أى يقلع" عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً"[6]0

5- وفى رواية عنها قالت : "إن كان ليوحى إلى رسول الله وهو على راحلته فتضرب بجرانها"[7]0

---

1 () صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 190 رقم 1004، والرياض المستطابة ص 207، وأسد الغابة 3/158 رقم 2791، والاستيعاب 2/807 رقم 1372 0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبى [illegible]

3 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 40 رقم 167، والاستيعاب 4/1585 رقم 2815، وأسد الغابة 5/486 رقم 5647، والإصابة 3/668 0

4 () هو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم، وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 3/335 0

5 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب ما يفعل بالعمرة 3/718 رقم 1789، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب ما يباح للحرم بحج أو عمرة 4/332 رقم 1180 0

6 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحى 1/25، 26 رقم 2، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبى [illegible]

7 () أى تبرك وتلصق عنقها بالأرض. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 1/255، والحديث رواه أحمد فى مسنده 6/118، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/257 0

6- وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه[1] قال : "كنت أكتب الوحى لرسول الله وكان إذا نزل عليه أخذته بُرَحاء[2] شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجُمان[3] ثم سرى عنه. وكنت أكتب وهو يملى على، فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل الوحى، حتى أقول : لا أمشى على رجلى أبداً"[4]0

7- وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "كان النبى إذا أنزل عليه الوحى سمع عند وجهه كدوى[5] النحل، فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة، ورفع يديه وقال : **اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا"**[6]0

8- وعن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنهما[7] سُأل رسول الله فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله : **"أحياناً يأتينى مثل صلصلة[8] الجرس، وهو أشده على فيفصم عنى، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً**

---

1 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 16 رقم 22، وتجريد أسماء الصحابة 6/197، والرياض المستطابة ص 84، وأسد الغابة 2/346 رقم 1824 0

2 () بضم الباء، وفتح الراء، شدة أذى الحمى وغيرها. ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 1/428، والنهاية 1/113 0

3 () بضم الجيم وهو اللؤلؤ الصغار، وقيل : خرز يتخذ من الفضة مثل اللؤلؤ. النهاية 1/291 0

4 () أخرجه الطبرانى بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات عما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/257 0

5 () صوت ليس بالعالى، كصوت النحل ونحوه. النهاية فى غريب الحديث 2/133 0

6 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون 5/305 رقم 3173، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب الوتر، باب رفع اليدين فى الدعاء 1/450 رقم 1439، وأحمد فى مسنده 1/34، وصححه العلامة أحمد شاكر رقم 223 0

7 () صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 69 رقم 239، وأسد الغابة 1/643 رقم 979، والاستيعاب 1/301 رقم 440 0

8 () هى صوت الحديد إذا حرك، ثم أطلق على كل صوت له طنين. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 3/43، وفتح البارى 1/27 رقم 2 0

فيكلمنى فأعى ما يقول"[9] وهذه الصلصلة أو الدوى هو صوت الملك بالوحى، ولا تعارض بينهما 0

قال ابن حجر[1] : "فدوى النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدوى بالنسبة إلى الحاضرين، كما قال عمر : يسمع عنده كدوى النحل، والصلصلة بالنسبة للنبى ، فشبهه عمر بدوى النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه هو بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه"[2]0

9- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما[3] قال : سألت رسول الله ؛ هل تحس بالوحى؟ فقال : أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلىَّ إلا ظننت أن نفسى تقبض"[4]0

فهذه الروايات تبين لك إلى أى مدى يستلزم الوحى الإلهى من استعداد خاص، وتجرد عن عالم البشر، وإلى ما لاقى النبى من معاناة أثناء تنزيل الوحى عليه، حتى أن الملامس لجسده الشريف، كان يشعر به كما مر من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه 0

فإذا رجعت للآيات الكريمة والتى تتكلم عن الوحى، تستطيع الآن أن تتفقهها؛ لا فى إعجازها المجرد، وإنما فى هيئة وقعها الحى على صاحب الرسالة ، ومن عايشه بها من صاحبته رضوان الله عليهم أجمعين 0

---

9 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحى 1/25، 26 رقم 2، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبى [illegible]

1 () هو : أحمد بن على بن محمد العسقلانى، أبو الفضل، أصله من عسقلان بفلسطين، ولكنه ولد بالقاهرة، حافظ أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، من مصنفاته النفيسة التى عم النفع بها "فتح البارى بشرح صحيح البخارى" و"الإصابة فى معرفة الصحابة" وغير ذلك مات سنة 852هـ له ترجمة فى: الضوء اللامع للسخاوى 2/36 رقم 104، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 552 رقم 1190، وشذرات الذهب لابن العماد 7/270، والبدر الطالع للشوكانى 1/87 رقم 51 0

2 () فتح البارى 1/27 رقم 2 0

3 () صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 150 رقم 721، والاستيعاب 3/256 رقم 1636، وأسد الغابة 3/345 رقم 3092، والإصابة 2/351 رقم 4865 0

4 () أخرجه أحمد فى مسنده 2/222، وعزاه إليه، وإلى الطبرانى بإسناد حسن الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/256 0

ولتنظر الان كيف تتناول كتب التفسير للقرآن الكريم آية من تلك الآيات وهى قوله تعالى: **إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلا**[1] بالتفسير والشرح لنرى أى التفاسير أقرب فى تيسير فهم الآية؛ التفسير اللغوى، أو التصوير البيانى، أو التأويل التكليفى، أو التفسير بالمأثور من السنة النبوية، والسيرة العطرة ؟0

جاء فى تفسير الألوسى : "قولاً ثقيلاً" : هو القرآن العظيم، فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة، ثقيل على المكلفين، سيما على رسول الله ، فإنه مأمور بتحملها وتحميلها للأمة. ونحو هذا جاء فى تفسير الكشاف[2]0
وقيل : ثقيل فى الميزان، وهو اختيار ابن جرير الطبرى[3]0
وقيل : ثقله على الكافرين والمنافقين بإعجازه ووعيده، وقيل غير ذلك[4]0

وفى تفسير القرطبى : قولاً ثقيلاً : صلاة الليل! أى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثقيلاً يثقل حمله، لأن الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس، ومجاهدة للشيطان فهو أمر يثقل على العبد"[5]0

وفى تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ثقيلاً : أى ثقيل وقت نزوله من عظمته، ثم ساق الروايات السابقة التى تبين أحوال النبى وقت نزول الوحى عليه"[6]0

ومن كل ما سبق من أوجه التفسير، يتبين لك كيف أن التفسير الذى اعتمد على المأثور من سنة النبى ، وسيرته العطرة، كان من أقرب وأقوى التفاسير فى تيسير فهم الآية، مع صحة بقية الأوجه الأخرى فى تفسيرها 0

وتبدو أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم من خلال الاستعانة بها فى تقييد مطلق الآيات القرآنية، أو تخصيص عامها؛ وهذه ناحية هامة جداً يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية 0

---

1 () الآية 5 المزمل 0
2 () 4/175 0
3 () ينظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن 29/80 0
4 () روح المعانى 29/104 0
5 () الجامع لأحكام القرآن 19/37 0
6 () تفسير القرآن العظيم 8/277 0

أ- فمثال تخصيص السيرة العطرة لعام القرآن الكريم : قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾[1] فالظاهر من قوله تعالى : "وأرجلكم" الأمر بغسل الرجلين على قراءة النصب عطفاً على قوله تعالى "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" وهو الواجب أيضاً على قراءة الخفض عطفاً على قوله ﴿**وامسحوا برؤسكم**﴾ فالمراد بمسح الرجلين غسلهما[2]0

وقد توهم بعض السلف[3] كما توهم الخوارج والروافض أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين، وقد روى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه[4] ولكنه لم يصح إسناده، ثم الثابت عنه خلافه[5]0

ودعوى النسخ مردودة بما ورد فى السيرة العطرة من فعله ﷺ بالمسح على الخفين بعد نزول آية المائدة، ويدل على ذلك ما روى عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه[6] حيث بال ثم توطأ، ومسح على خفيه. فقيل : أتفعل هذا؟ فقال : نعم، رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ، ومسح على خفيه. قال : إبراهيم[7] : فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة"[8] وهو ما صرح به جرير رضى الله عنه رداً على من تأول أن مسح

---

1 () الآية 6 المائدة 0

2 () ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/54، 49 0

3 () ذهب إلى ذلك ابن شاهين فى كتابه الناسخ والمنسوخ من الحديث ص 149 – 154 0

4 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 11 رقم 5، وأسد الغابة 4/87 رقم 3789 والاستيعاب 3/1089 رقم 1855، والإصابة 2/507 رقم 5704 0

5 () تفسير القرآن العظيم 3/54، وينظر : تلخيص الحبير لابن حجر 1/415، 416 0

6 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 56 رقم 275، وأسد الغابة 1/529 رقم 730، والاستيعاب 1/236 رقم 322، وتجريد أسماء الصحابة 1/82 0

7 () هو إبراهيم بن سويد النخعى، ثقة، لم يثبت أن النسائى ضعفه. له ترجمة فى : تقريب التهذيب 1/57 رقم 184، والثقات للعجلى ص 52 رقم 26، ومشاهير علماء الأمصار ص 194 رقم 1290 0

8 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين 2/166، 167 رقم 272، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلاة، باب الصلاة فى الخفاف 1/589 رقم 387 0

النبى على الخفين قبل نزول المائدة، فأجاب قائلاً : "ما أسلمت إلا بعد نزول المائدة"[1]0

فإذا كانت آية المائدة نزلت فى غزو المريسيع سنة خمس، وقيل سنة ست هجرية، ومسحه كان فى غزوة تبوك سنة تسع هجرية على ما جاء فى رواية المغيرة بن شعبة[2] فإن هذا يدل على أن فعله محكم وأنه مع الآية الكريمة يخصص عمومها 0

قال الإمام النووى[3] : "فلو كان إسلام جرير متقدماً على نزول المائدة لاحتمل كون حديثه فى مسح الخفين منسوخاً بآية المائدة، فلما كان إسلامه متأخراً علمنا أن حديثه يعمل به، وهو مبين أن المراد بآية المائدة غير صاحب الخف، فتكون السنة المطهرة مخصصة لعموم الآية"[4]0

على أنه قد يقال : قد ثبت فى آية المائدة القراءة بالجر "وأرجلكم" عطفاً على الممسوح وهو الرأس، فيحمل على مسح الخفين كما بينته السيرة النبوية، ويتم ثبوت المسح بالكتاب والسيرة، وهو أحسن الوجوه التى توجه بها قراءة الجر 0

---

1 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين 1/39 رقم 154، والترمذى فى سننه كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين 1/156 رقم 94، وقال الترمذى : وهذا حديث مفسر، لأن بعض من أنكر المسح على الخفين، تأول أن مسح النبى [illegible]

2 () فعنه قال : "إن رسول الله [illegible]

3 () هو أبو زكريا، يحيى بن شرف الحوارنى، الشافعى، كان إماماً حافظاً متفناً، صاحب تصانيف نافعة فى الحديث، والفقه، وغيرها "كشرح مسلم" و"شرح المهذب" و"المبهمات" وغير ذلك مات سنة 676هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 4/1470 رقم 1162، وشذرات الذهب 5/345، وطبقات الشافعية لابن كثير 2/909 0

4 () المنهاج شرح مسلم 2/170 رقم 272 0

وعلى جواز المسح على الخفين فى السفر والحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها إجماع من يعتد به فى الإجماع، ولا يعتد بإنكار الشيعة والخوارج لتلك الرخصة، ولا بخلافهم فى ذلك[1]0

قال الحافظ ابن كثير[2] : "وقد ثبت بالتواتر[3] عن رسول الله مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وعملاً[4] وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا مستند، بل بجهل وضلال، مع أنه ثابت فى صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه[5] مع ما ثبت بالتواتر من فعل

---

1 () ينظر : المصدر السابق فى الأماكن السابقة نفسها 0

2 () هو : إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، الدمشقى، الشافعى، كان عالماً حافظاً فقيهاً، ومفسراً نقاداً، ومؤرخاً كبيراً، من مصنفاته : تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، مات سنة 774هـ. له ترجمة فى : الدرر الكامنة لابن حجر 1/373 رقم 944، وطبقات المفسرين للداودى 1/111 رقم 103، وشذرات الذهب 6/231، والبدر الطالع للشوكانى 1/153 رقم 95 0

3 () قال ابن عبد البر فى الاستذكار 2/239 رقم 2190 "روى عن النبى [illegible]

4 () ينظر تفصيل أحكام المسح على الخفين فى : نيل الأوطار 1/176، وسبل السلام 1/86، وفقه السنة للشيخ السيد سابق 1/57 0

5 () يشير إلى ما رواه مسلم عن شريح بن هانئ قال : أتيت عائشة رضى الله عنها أسألها عن المسح على الخفين، فقالت : عليك بابن أبى طالب، فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله [illegible]

رسول الله على وفق ما دلت عليه آية المائدة، وهم مخالفون لذلك كله، وليس لهم دليل صحيح فى نفس الأمر"[1]0

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم من خلال الاستعانة بها فى تخصيص عام غسل الرجلين فى قوله تعالى "وأرجلكم" بما ورد فى السيرة العطرة من فعله بالمسح على الخفين، ورد دعوى نسخ آية المائدة لتلك الرخصة النبوية 0

ب- ومثال تقييد السيرة العطرة لمطلق القرآن الكريم قوله تعالى :

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم[2] وهذه الآية الكريمة مطلقة لم تقيد قطع اليد بموضع محدد، لأن اليد تطلق على الأصابع، والكف، والرسغ، والساعد، والمرفق، والعضد. ولكن السيرة العطرة بينت ذلك، وقيدت القطع بمقدار الكف فقط من يد واحدة. وذلك حينما أتى بسارق إلى النبى فقطع يده من مفصل الكف[3]0

فلولا السيرة العطرة لما استطعنا فهم المراد من الآية الكريمة، ولما استطعنا إقامة الحد على وجهه الصحيح 0

والذى أخلص إليه من كل ما تقدم، التأكيد على أن أهمية السيرة النبوية فى تفسير القرآن الكريم، والوقوف من خلالها على فهم أدق وأقرب لآيات القرآن هو أمر فى غاية الجلاء 0

وهو وإن كان لا يخلو من الاعتماد عليه كتاب تفسير، إلا أن المطلوب إنما هو التركيز عليه، بحيث لا يطغى الاهتمام بالشكل، والأمور الجانبية على هذا الفحوى والمضمون؛ وهو ما يشاهد فى غالبية كتب التفسير، الأمر الذى أصبح يشكل عبئاً ظاهراً فى تناول أمر هداية القرآن حتى على طلبة العلم والمتخصصين منهم 0

فإن هذه العلوم مِنْ لغوية – نحوية، وبلاغية – وغيرها وإن كانت وسائل يستعان بها على فهم القرآن، والوقوف على أسرار بيانه، إلا أنه لا ينبغى أن تكون هى الشغل الشاغل عن الهداية العملية للقرآن، هذه التى سرت روحها

---

1 () تفسير القرآن العظيم 3/54 بتصرف يسير 0
2 () الآية 38 المائدة 0
3 () أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى كتاب السرقة، باب السارق يسرق أولاً فتقطع يده اليمنى من مفصل الكف 8/270، 271 0

فى الرعيل الأول، فتفجرت منها ينابيع العلم والمعارف، ودانت لهم الدنيا بأسرها 0

فكيف إذا جاوز الأمر الوقوف على الوسائل إلى قضايا جانبية من القضايا الفلسفية، والأهواء الشخصية، فإنه عند ذلك يبعد كثيراً عن القصد ولا يحقق المطلوب[1]0 أهـ

ثانياً : أهمية السيرة العطرة فى فهم السنة الشريفة :

لا تقف أهمية السيرة النبوية فى فهم القرآن الكريم فقط، بل تتعدى تلك الأهمية إلى السنة المطهرة 0

فدراسة السيرة تفيدنا فى معرفة حقيقة الأوامر والنواهى فى السنة النبوية، فقد يرد الأمر أو النهى فى السنة النبوية، ولا نعلم هل هذا الأمر على الوجوب، أو على الإرشاد، أو هو منسوخ! ولا نعلم النهى أيضاً هل على التحريم، أو التنزيه، أو هو منسوخ! فتأتى السيرة العطرة لتبين لنا الحكم الدقيق فى المسألة 0

أ- مثال الأمر : ما ورد فى الوضوء مما مسته النار :

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله : **"توضأوا مما مست النار"**[2] وفى الباب عن أبى هريرة، وزيد بن ثابت[3] وغيرهم 0

فالظاهر هنا من قوله : "توضأوا" أن الوضوء مما مسته النار واجب، وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين[4]، ولكن ما ورد فى السيرة العطرة من فعله يبين حقيقة هذا الأمر، وأنه منسوخ على وجه، ومحمول على الاستحباب لا على الوجوب على وجه آخر؛ يدل على ذلك ما يلى :

---

1 () ينظر : المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة 2/549 – 569، بحث الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم "أهمية السيرة فى تفسير القرآن"0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الوضوء، باب الوضوء مما مست النار 2/278 رقم 353 0

3 () أخرجهما مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقمى 351، 352 0

4 () منهم ابن عمر، وأبى طلحة، وأنس بن مالك، وأبى موسى الأشعرى، وعائشة، وزيد بن ثابت، وأبى هريرة، وعمر بن عبد العزيز، وأبى قلابة، والحسن البصرى، والزهرى 0

1- عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله أكل كتف شاة ثم صلى، ولم يتوضأ"[1] ونحوه عن عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه[2]0

2- وعن ميمونة زوج النبى [3] أن رسول الله أكل عندها كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ"[4]0

3- وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه[5] قال : "كان آخر الأمرين من رسول الله ترك الوضوء مما غيرت النار"[6] وأصل هذا الحديث رواه البخارى فى

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار 2/280 رقم 354، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق 1/371 رقم 207 0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقم 355، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر فى السكين 6/119 رقم 2923 0

3 () لها ترجمة فى : أسد الغابة 7/262 رقم 7305، والاستيعاب 4/1914 رقم 4099، وتاريخ الصحابة ص 247 رقم 1363، والرياض المستطابة ص 313، 314 0

4 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار 2/2 رقم 356، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ 1/373 رقم 210 0

5 () صحابى جليل له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 1/43 رقم 21، ومشاهير علماء الأمصار ص 17 رقم 25، وأسد الغابة 1/492 رقم 647، والاستيعاب 1/219 رقم 290، والإصابة 2/45 رقم 1022 0

6 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مست النار 1/49 رقم 192، والترمذى فى سننه كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما غيرت النار 1/116، 117 رقم 80 هذا وللشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى، كلام طيب يرد به على القائلين بأن ابن المنكدر لم يسمع هذا الحديث من جابر، فراجعه إن شئت فى سنن الترمذى فى الأماكن السابقة نفسها والحديث أخرجه أيضا : النسائى فى سننه الصغرى كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما غيرت النار 1/108 رقم 185، والبيهقى فى السنن الكبرى، باب ترك الوضوء مما مست النار 1/155 وابن خزيمة فى صحيحه 1/28 رقم 43، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) 3/416 رقم 1134،

صحيحه أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه سأل عن الوضوء مما مست النار، فقال : لا، قد كنا زمان النبى لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلا، فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفَّنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلى ولا نتوضأ"[1]0

وللحديث شاهد من حديث محمد بن مسلمة رضى الله عنه[2] قال : إن رسول الله أكل آخر أمره لحماً، ثم صلى، ولم يتوضأ"[3]0

وعلى ذلك جمهور الصحابة، ففى الموطأ روى موقوفاً، مفرقاً ومجمعاً عن أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعامر بن ربيعة العنزى، وابن عباس، رضوان الله عليهم أجمعين – أنهم كانوا لا يتوضئون مما مست النار"[4]0

4- وروى أن أنس بن مالك رضى الله عنه قدم من العراق، فدخل عليه أبو طلحة، وأبى بن كعب، فقرب لهما طعاماً قد مسته النار، فأكلوا منه. فقام أنس فتوضأ، فقال أبو طلحة، وأبى بن كعب : ما هذا يا أنس؟ أعراقية؟[5]

والطبرانى فى الأوسط 5/58، 59 رقم 4663 0

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأطعمة، باب المنديل 9/492 رقم 5457 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 30 رقم 93، والرياض المستطابة ص 258، 259، وأسد الغابة 5/106 رقم 4768 0

3 () أخرجه الطبرانى فى الكبير، وفيه يونس بن أبى خلده، قال فيه الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/252 لم أرى من ذكره. قلت : سكت عنه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل 9/238 رقم 1002، وأخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من الحديث ص 97 رقم 95، والحازمى فى الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار ص 160، والبيهقى فى السنن الكبرى كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مست النار 1/156 وفى طريقهم أيضاً يونس بن أبى خلده. أهـ 0

4 () أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مسته النار 1/52، 53 أرقام 21 – 24، وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الطهارة، باب الرخصة فى ترك الوضوء مما غيرت النار 1/161 رقم 489، والطبرانى فى مسند الشاميين بإسناد حسن كما قال الحافظ فى فتح البارى 1/371، 372 رقم 207 0

5 () أى : أبا العراق استفدت هذا العلم، وتركت عمل أهل المدينة المتلقى عن النبى [illegible]

فقال أنس : ليتنى لم أفعل. وقام أبو طلحة، وأبى بن كعب، فصليا ولم يتوضآ"[1]0

ففى هذه الروايات ما يدل على أن الأمر فى قوله : **"توضأوا مما مست النار"** محمول على الاستحباب، لا على الوجوب، وهذا قول بعض العلماء الذين ذهبوا إلى الجمع بين الروايات[2]0

أما الجمهور من العلماء فعلى أن أحاديث الوضوء مما مست النار منسوخة برواية جابر بن عبد الله، ومحمد بن مسلمة، وغيرها من الروايات السابقة المرفوعة والموقوفة[3]0

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة فى فهم حقيقة الأمر الوارد فى السنة النبوية، وأنه ليس مراداً، إذ هو محمول على الاستحباب على وجه الجمع بين الروايات – على رأى بعض العلماء – ومنسوخ على رأى الجمهور 0

ب- ومثال النهى : ما ورد فى النهى عن الشرب قائماً :

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ، أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً : قال : قتادة : فقلنا : فالأكل؟ فقال : ذاك أشر أو أخبث"[4] ونحوه عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة بزيادة "فمن نسي فليستقئ"[5]0

---

1 () أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مسته النار 1/54 رقم 26 0

2 () ينظر : شرح الزرقانى على الموطأ 1/77 رقم 53، والمنهاج شرح مسلم 2/280 رقم 354، وسبل السلام 1/108، وفقه السنة للشيخ سيد سابق 1/56 0

3 () ينظر : المصادر السابقة، مع نيل الأوطار 1/202، والمغنى لابن قدامه 1/187، والاعتبار للحازمى ص 158 0

4 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً 7/213 رقم 2024 0

5 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقمى 2025، 2026، وفى رواية عنه أيضاً عن النبى [illegible]

فالظاهر هنا من أن هذا النهى النبوى، أن الشرب من قيام حرام، ولاسيما بعد قوله فى رواية أبى هريرة السابقة "فمن نسى فليستقئ" فإن ذلك يدل على التشديد فى المنع، والمبالغة فى التحريم 0

ولكن روى فى السيرة العطرة من فعله ما يبين حقيقة هذا النهى، وأنه ليس للتحريم :

1- فعن أبى عباس رضى الله عنهما قال : سقيت رسول الله من زمزم فشرب قائماً[1]0

2- وروى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى باب الرحبة[2] بماء فشرب قائماً. فقال : إن ناساً يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإنى رأيت رسول الله فعل كما رأيتمونى فعلت"[3]0

3- وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى دخل على أم سليم، وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها وهو قائم، قال : فقطعت أم سليم فم القربة[4] فهو عندنا[5]0

4- وروى أن كبشة بنت ثابت الأنصارى – وهى أخت حسان بن ثابت رضى الله عنهما لما دخل عليها رسول الله ، وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، فقطعت فم القربة تبتغى بركة موضع فىّ رسول الله 0[6]"

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب الشرب من زمزم قائماً 7/214 رقم 2027، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً 10/84 رقم 5617، وكتاب الحج، باب ما جاء فى زمزم 3/576 رقم 1637 0

2 () الرَحبة : بفتح الراء، والمهملة، والموحدة، المكان المتسع، ورحبة المسجد بالتحريك وهى ساحته والمراد رحبة للمكوفة بمنزلة رحبة المسجد، ينظر : القاموس المحيط 1/72، وفتح البارى 10/ 84 رقم 5615 0

3 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً 10/84 رقم 5615 عن النزال بن سبرة رضى الله عنه 0

4 () قطعها لفم القربة، فعلته لوجهين أحدهما : أن تصون موضعاً أصابه فم رسول الله [illegible]

5 () أخرجه أحمد فى مسنده 3/119، 6/431، والترمذى فى الشمائل المحمدية ص 129 رقم 205 وأخرجه الدارمى مختصراً فى سننه كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً 2/162 رقم 2124، وعزاه الهيثمى إلى أحمد والطبرانى وقال فيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 5/79 0

6 () أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً 2/325 رقم 3423، والترمذى فى سننه كتاب الأشربة، باب ما جاء فى الرخصة فى الشرب قائماً 4/270 رقم 1892 وقال : حديث حسن صحيح غريب 0

5- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : "رأيت رسول الله يشرب قائماً وقاعداً"[1]0

فهذه الروايات وغيرها تدل دلالة قاطعة على أن أحاديث النهى عن الشرب قائماً تحمل على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل، وليس النهى للتحريم على ما جزم به ابن حزم، ولا الكراهة[2] على ما ذهب إليه البعض[3]0

وللحافظ ابن حجر :

إذا رمت تشــرب فاقعــد *** بسنـة صفـوة أهـل الحـجاز تفـز

وقد صححـوا شربـه قائماً *** ولكنــه لبـيـان الجــواز[4]0

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة فى حل ما ظاهره التعارض والتناقض من الأحاديث، ببيان حقيقة المراد بالنهى النبوى عن الشرب قائماً، وأنه محمول على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل حال الشرب. وليس النهى للتحريم ولا الكراهة. ودليل ذلك كله سيرة رسول الله فى الشرب قائماً أهـ والله أعلم 0

جـ- أهمية السيرة العطرة فى إثبات أن للمسلمين تاريخاً وحضارةً :

السيرة النبوية هى مصدر لكل معرفة، وهى مفتاح نهضة المسلمين وحضارتهم، وهى فوق كل هذا الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام، والعمل بها حفظ لكيان الإسلام وتقدمه، وتركها هدم لدين الإسلام، وتأخر المسلمين 0

فها هو ذا مشرك ينطق بشمول السيرة النبوية العطرة لكل أمور الحياة، معترفاً على نفسه، ومن كل شاكلته؛ بأنهم يحرصون على معرفة تعاليم

---

1 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأشربة، باب ما جاء فى الرخصة فى الشرب قائماً 4/266 رقم 1883، وقال : حسن صحيح، وفى الشمائل المحمدية ص 126 رقم 198، وابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ ص 422 رقم 584 0

2 () قال الأثرم : إن ثبتت الكراهة، حملت على الإرشاد والتأديب لا على التحريم. ينظر : فتح البارى 10/ 87 رقم 5617 0

3 () ينظر : نيل الأوطار 8/195، وشرح الزرقانى على الموطأ 4/343 رقم 1784 0

4 () ينظر : شرح الزرقانى على الموطأ 4/343 رقم 1784 0

السيرة. فعن سلمان رضى الله عنه[5] أنه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة؟ قال : أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين، أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى برجيع أو بعظم"[2]0

وانظر إلى قول السائل : "لقد علمكم نبيكم كل شئ" تجد أنها تدل على تتبع هؤلاء لأمور السنة النبوية والسيرة العطرة، واعترافهم – مع أهلها – بشمولها لكل أمور الحياة[3]0

ويقول العلامة المجرى المسلم : محمد أسد (ليوبولدفايس) فى بيان أهمية السيرة العطرة فى تاريخ المسلمين وحضارتهم قال : "لقد كانت السيرة النبوية مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من خمسة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلال الحاضر؟

إن العمل بسنة رسول الله وسيرته العطرة هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة والسيرة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنة والسيرة الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما! أفيدهشك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟"[4]0

إن الطعن فى السيرة العطرة والسنة المطهرة طعن فى حقيقة الإسلام قرآناً وسنة، وتاريخاً، وحضارةً!!

لأنه مما لا يخفى أن القرآن الكريم إنما نزل لهداية البشر إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، ولهذا بين لهم طريق العمل، وسبل النجاح، وأعلن أن الأمة التى تعمل بهذا القانون تكون لها الخلافة فى الأرض، وتنال من السعادة، والسيادة مالا يزيد عليه، وتكون خير أمة أخرجت للناس. وكل من لم يعمل بهذا القانون يكون ذليلاً مهاناً فى الأرض، وشقياً فى الدنيا والآخرة 0

---

1 () هو سلمان الفارسى صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 116 رقم 533، ومشاهير علماء الأمصار ص 56 رقم 274،وأسد الغابة 2/510 رقم 2150، والإصابة 2/62 رقم 3369 0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطهارة، باب الاستطابة 2/154 رقم 262 0

3 () السنة النبوية. مكانتها. عوامل بقائها. تدوينها. لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدى عبد القادر ص 66، 67 0

4 () الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ ص 87 بتصرف يسير 0

فإذا سألنا أحد : هل وجدت أمة فى زمن من الأزمان عملت بهذا القانون؟ وهل نالت به ما وعدت؟ ومتى كانت هذه الأمة؟ وكيف كانت طريقة عملها بهذا القانون؟ وأين التاريخ الصحيح لأعمالها؟0

نقول له : نعم. وجدت أمة عظيمة عملت بهذا الكتاب الحكيم، واتخذته قانوناً أساسياً لها مدة كبيرة، فصدقها الله وعده، وأنعم عليها بالخلافة، والسيادة فى الأرض، وامتد سلطانها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكانت أمة لا نظير لها فى تاريخ العالم، وتاريخ أعمالهم المجيدة، وطريقة تنفيذهم لأحكام القرآن، وكيفية عملهم بها، كل ذلك ثابت محفوظ بصورة عديمة المثال، فإنه لا يوجد تاريخ لأمة من الأمم يبين عملها وتمسكها فى كل شئونها بقانونها مثل تاريخ هذه الأمة 0

هذه الأمة هى : رسول الله ، وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، وهذا التاريخ هو السنة النبوية، والسيرة العطرة، فبهما يعلم كيف عمل الرسول وأصحابه بالقرآن، وبهما يعرف أن القرآن قانون قد عمل به، ونجحت أصوله الإدارية، والسياسية، والمدنية، والأخلاقية... الخ وليس هو مجموعة نظريات محتاجة للإثبات بالتجربة والتطبيق!!0

وأما إذا عملنا بـرأى المنكريـن للحـديث والسـيرة العطـرة الـواردة فـى السنة، يضيع تاريخ الإسلام الذهبى ولا يقدر أحد أن يثبت أن القـرآن قـد عملـت به أمة من الأمم، ونجحت فى تأسيس حكومة إسلامية مطبقـة لتعليمـاته. فهـل يرضى المسلمون بهذا؟0

لا والله، لا المسلمون يرضون بهذا، ولا العلم، ولا التاريخ يرضيان بهذا!

فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً[1] أهـ 0

والله تعالى أعلى وأعلم 0

---

[1] () الآية 78 النساء. وينظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة سليمان الندوى ص 12، 13 وقارن بالإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ص 93 0